نشوء الموازين العربية

للاديب انيس افندي الخوري م.ع

قرأت في العدد السابع من مشرق السنة الحادية عشرة رسالةً للباحث الفاضل الاب انستاس الكرملي ذكر فيها « خصائص الموازين العربيّة واصل كيفيّة نشوئها » وقد قال في صدرها : « هذا بحث لم يتعرّض لهُ من لغويي الأعراب والأغراب سوى العلّامة الباحث جرجي افندي زيدان » والمشرق على ما اذكر اثبت كلام حضرة الاب كرأيهِ الخاصّ دُون ان يجزم بصحّتهِ . وانا مع احترامي الزائد لعلم العلّامة زيدان ومع اعترافي للاب الفاضل بالاجادة والتعمّق استسيح من حضرتهِ العذر على تصدّيَ لهُ في هذا الباب فاني مثلهُ ناشد الحقيقة وناشدها غير ملوم

فالاب اخطأ على ما اظنّ في قولهِ « انهُ لم يتعرّض لهذا البحث سوى العلّامة زيدان اذ قد سبق لكثيرين كما قال المشرق الاغرّ ابحاث في موازين الافعال السامية واخصّ منهم بالذكر الان الاديب جبر افندي ضومط استاذ العربيّة في الكلّية الاميركية فان لهُ بحثًا « مستفيضًا في الموضوع تلاهُ في المجمع العلمي الذي عقدهُ سنة ١٨٨٥ اسبر افندي شقير ثم نشرهُ سنة ١٨٨٦ في كتاب سمّاهُ « الخواطر في اللغة » وقد تقصّى فيهِ حيث لم يتقصَّ غيرهُ وها انا باسط نُتفًا من آرائهِ بالايجاز والتصرّف واذكر اوجه الاختلاف والمطابقة بينها وبين ما ذكرهُ حضرة الاب المحترم

السالم واختلاف حركة عينهِ

يأتي المجرّد عند السريان على وزن فَعَالْ ساكن الفاء واللام متحرّك العين بحركة مشبعة وعند العبران على وزن فَعَالْ ساكن اللام فقط واماً في العربيّة فتتحرّك الاصول الثلثة وعليهِ فالعين متحرّكة في الجميع بخلاف غيرها . قال الاستاذ ضومط : « ان الحركة الاصليّة انما هي حركة العين واماً حركة الفاء فجاؤوا بها تفاديًا من خشية اللفظ وعسر الابتداء بهِ ساكنًا . واماً حركة العين فلما في طباع العرب من الميل الى الحركات يزينون

بها العاظهم فانه لايخفاك ما في نُطق فَعَلَ من الطلاوة والانسجام زيادةً عمّا في لفظ السريان والعبران. ويؤيد صحة القول باصلية حركة العين وفرعيّة ما سواها أنّا الى الان اذا حاكينا الاصوات الخارجيّة في ذي ثلاثة احرف جئنا به مشبعَ حركة العين ساكن الفاء واللّام على وزن المجرّد عند السريان فنقول طَرَاقْ وطَعَاقْ ثم إنّا نقول طَرَقْ وطَعَقْ باظهار حركة الفاء كما هي الحال عند العبران فكأنّما نوزّع حركة العين على الفاء والعين معًا ولا يخفى ما بين اللّفظين من التقارب في السمع

« ولمّا كانت حركة العين هي الحركة الاصليّة في المجرّد السالم كان الاختلاف اذا وقع اولى ان يكون فيها دون سواها فردّدوها بين الحركات الثلاث للتفنن تارةً وللدلالة على معنًى آخر اخرى. وامّا حركة الفاء واللّام فلمّا كان المقصود بها امرًا يتعلق بحسن اللّفظ ابقوها على الفتح كما جاءوا بها بدءًا الّا اذا ارادوا الاسكان كما في نحو « يضْربُ » مثلًا فانهم لما رأوا في تحريك الفاء من الثقل على اللسان ما يخالف المقصود من تحريكهم اياها ردّوها الى السكون على ما كانت عليه في الاصل وقالوا يَضْرِبُ

« ومثل ذلك يقال عن حركة اللام في نحو ضربْتم والعبران يختلسون حركة الفاء على شاكلة عامتنا بل الخاصّة ايضًا مع الاسراع في اللفظ. وامّا العين فلا تسكّن ابدًا ولا أرى لكلّ ذلك سببًا اوجه من القول باصليّة حركة العين وفرعيّة ما سواها »

أفْعَلَ

العرب والسريان يبدأنها بالهمزة مفتوحةً واما العبران فبالهاء مكسورةً وقد وضع الاستاذ لذلك تعليلين افضلهما الثاني وهو « ان صيغة أفعل مركّبة من (هو) ضمير الغائب والمجرّد (فَعَلَ) فتُرك اشباع الهاء وأُميل فتح العين فصارت الصيغة هُفْعَل ثم هِفْعَل لان العبران يحبّون الكسر ويزون معهُ شيئًا من الخفّة والاختصار وبيان ذلك على ما ترى ان اكثر ما يُؤدّى بهذه الصيغة انما هو معنى التعدية او ما يقارنهُ وهذا المعنى يمكن ان يتحصّل من اضافة ضمير الغائب الى المجرّد. وذلك انّ (جَلَسَ) مثلًا اذا قلنا فيه (جَلَسَ أَنتَ) على الاصل يُفهم منهُ بالطبع ان الجلوس صادر عنك او انّك أنت فاعلهُ فاذا قلنا (هو جَلَسَ أنت) فاختلاف هذا التركيب عن تركيب (جَلَسَ انت)

يتبادر للذهن ان هناك معنًى آخر مقصودًا بالعبارة غير معنى كونك انت فاعل الجلوس ويصرف حضور ضمير المخاطب من الفاعليَّة الى المفعوليَّة ويأخذ هو مكانهُ من الفاعيِّلة. وهكذا يتنقَّل معنى الصيغة (هو جلاسْ) انتقالًا طبيعيًا من جَلَسَ الى أجلس

فترى اذن انَّ معنى التعدية يمكن ان يترتَّب ترتُّبًا طبيعيًا في زيادة ضمير الغائب على المجرَّد. ولنرجع الان الى لفظ الصيغة وامكان اتيانهِ من هوفعالْ. والامر هنا واضح كل الوضوح فانَّهُ مع الامالة في حركة العين وابدال الضمَّة كسرة على ما مرَّ بك انهُ يتبع عفوًا يسير معنا من هوفعالْ او هُفعَّال هِفعَّل وباخلاص الكسر هِفعِّيل». وبناء عليهِ يرجِّح الاستاذ ان هِفعِّيل العبرانيَّة اصل (هو وفعال). ثم لا يخفى عليك ان هُفعال تصير أفعال . فأفعل لما ان الهمزة والهاء حرفان حلقيَّان ينقلب احدهما الى الاخر بالطبع وربَّما ان العرب والسريان كانوا يقولون هَفعال الى عهد قريب الَّا ان أفعل ازداد شيوعًا حتى عمَّ استعمالهُ

فَعَّلَ وفَاعَلَ

ما ذكرهُ الاب المحترم عن هاتين الصيغتين مطابق تمامًا لما ذكره الاستاذ في كتابهِ المذكور آنفًا. وعندهُ (اي الاستاذ) انهما من فَعَلَ فليس ثمَّت اكثر من اطباق حركة الفاء او اشباعها فاذا أُطبقت تولَّدت فَعَّلَ واذا أُشبعت فاعَلَ. الَّا ان العبران كسروا فتحة الفاء لاسيما اذا كان ما بعدها مشدَّدًا لما يرون من الخفَّة والاختصار في لفظها كذلك. ولمَّا تولَّدت هاتان الصيغتان علقوا على كل منهما معاني تدلّ عليها ثمَّ رسخت صورهما وصور المعاني التي يُدَلّ بها عليهما

المزيدات الخماسيَّة

وهي تَفعَّلَ. تَفاعَلَ. إنْفَعَلَ. إفْتَعَلَ. إفعَلَّ او إفعالَّ. قال جناب صاحب الخواطر في اللغة : « اما إفعلَّ فعدُّها من المزيدات الخماسيَّة غير واقع موقع التحري والنقد انما كان آخذًا بظاهر عدد حروفها وما هي في الحقيقة الَّا نوع من لفظ فعَّالْ . واما تفعَّلَ وتَفاعَلَ وانفَعَلَ وافتَعَلَ فطاوعات على الترتيب انفَّلَ وفاعَلَ وفعَلَ وأفعَل. والتاء مزيدة في الاوائل الَّا في افتعل فان فاء الفعل متقدِّمة عليها والاصل فيها في الراجح التقديم ». وبعد ان ذكر الاستاذ صيغ للطاوعة عند السريان والعبران وابان اوجه الشبهة

بينها وبين الصيغ العربية ابانةً جليّة قال: « ولننظر في اصل الزيادة ودلالتها على المطاوعة في هذه الاوزان ولنبدأ بوزن إنفعلَ فنقول ان الزيادة فيه هي على الراجح الضمير المنفصل (انا) اتحد باصل الفاء فصار معهُ الى الصورة التي تعلمها الآن وليس في ظاهر الصيغة شيءٌ من البعد عن هذا الرأي والغرابة فلا ينطبق عليه. واما في معناها فكذلك لانهُ لا يخفى ان الضمير المتفصل (انا) في مثل قولنا (انا غمستُ) مساوٍ لقولنا «نفسي غَمَسْتُ» ثم لما أُلف هذا الترتيب في المتكلم عمّ في الغائب والمخاطب جميعاً وانتقل معهُ معنى (انا) مع الايام وطول الالفة الى معنى نفس فصار قولنا انكسر الزجاج بمثابة قولنا « نفسهُ كسر الزجاج » وانهزم الرجل بمثابة قولنا « نفسهُ هزم الرجل » وعلمٌ جرًّا

وأما بقية الصيغ فخاصة من زيادة (إت) على اول إنفعل في العربية والسريانية و (هت) في العبرانية . و (إت) هذه في اول صيغ المطاوعة وهي لفظة اصلية معناها ذات او نفس لا تزال معلومة الوجود الى الان ولفظها في العبرانية (ات) وفي السريانية (يت) وفي العربية (اياه) كما يعلمهُ الواقف على اللغات الثلاث . واذا كان ذلك كذلك فاذا عسى اقرب من انهم كانوا يزيدون هذا اللفظ في اوائل الافعال فتأدّى منهُ معنى المطاوعة ثم اتحد اللفظان وتنوسي مع الايام وكثرة الاستعمال لفظة (ات) مستقلة كما تنوسي لفظ (انا) في الفعل . وهنا يتفق الاستاذ والاب والعلّامة زيدان على ما ارى فانَّ ما ذكرهُ حضرة الاب من اصل التاء المزيدة في الافعال الخماسية نقلًا عن زيدان موافق كل الموافقة لما تنقلهُ عن « الخواطر في اللغة »

المزيدات السداسية

ومن صيغها إستَفعَلَ وافعوعَلَ وافعوَلَّ وإفتَعلَّى . والاستاذ يضرب صفحاً عن الاخيرة منها « لانَّ لا شيءَ في مقابلة اللغات يُهتدى معهُ الى شيءٍ جليٍّ فيها . وتعليلهُ في ما بقي يقارب تعليل الاب وزيدان افندي الّا في استفعل فان الثلاثة يختلفون هناك . واليك البيان . قال العلامة زيدان ما مؤدّاهُ — يلوح لنا ان (است) الزادة في استفعل بقيّةُ فعلٍ فُقد من العربيّة وحُفظ في السريانيّة بمعنى مال وهو (سطا) . ولقد انتقد الاب الفاضل تعليل زيدان افندي ووضع رأيهُ الخاص في ذلك وهو « ان استفعل منحوت من

ثلاث كلمات وقد أُخذ من كل من الاثنتين الأُوليَين حرف ثم ضُمتا الى الكلمة المطلوب نقل معناها وهذان الحرفان هما (س) من سأل و (ت) او (ات) التي تعني الذات على ما تقدَّم شرحهُ». قال: «وعلى هذا القياس يكون كل من استفعل او اشْتَفْعَل مطاوع سَفْعل وشَفْعَلَ»

اما الاستاذ فمع موافقتهِ للاب في ان استفعل مطاوع سَفْعَلَ او شَفْعَلَ يخالفهُ في اصل السين المزيدة في تلك الصيغة. وعندهُ انها منحوتة من لفظة (ايس) في العربيَّة ويقابلها (ايش) في العبرانيَّة و (ايت) في السريانيَّة. فعلٌ مات عندنا كان يدلّ على الوجود او الكون المطلق ومن بقاياه لَيْس ولات وهما مؤلفتان من (لا) النافية والفعل المذكور للدلالة على نفي الحال او الكون المطلق وعلى ذلك يكون استفعل مركباً من ثلاث كلمات وحلّلها (إيسْ إتْ فعل) كما ترى فتلاحمت اجزاؤها مع الايام وكثرة الاستعمال وصارت استَفْعَل وليس في ظاهر نطقها شيءٌ من البعد عما يستلزمهُ القول باصلها هذا. واما من جهة ما تدلّ عليهِ فيمكن ان يتحصَّل ايضاً من تركيباتها بما لا يخرج عن قوانين استدلال العقل على المعاني المرادة بالالفاظ المركبة سيما وان من معاني (ات) الدلالة على المعيَّة ايضاً فضلاً عن دلالتها على النفس او الذات. فتأمل ترَ (استمرّ) مثلاً يمكن ان يتحصَّل معناها من تركيب مفرداتهُ «وجد مع المرور» وكذا استحجر واستكبر واستعظم واستغفر

وبعد ان علّل عن اصل السين في استفعلَ قال «وربما يتداعى الى الخاطر ان لمَ حفظت السريانيَّة وزن سفعل دون العربيَّة فنقول: «لا يخفى على عارف بالسريانيَّة ان المجهول غير معروف فيها وانما تقدَّم مقامهُ عندهم صيغ المطاوعة ولذلك كان لابدَّ لهم ان يلحظوا صيغة سَفْعَل ويمدّوها من المزيدات ضرورة لأنهم في مجهولها يحتاجون الى المطاوع كما يحتاجون اليهِ في غيرها بخلاف العربيَّة فان المجهول فيها اغنى العرب عن التقيّد بالمطاوع والعناية بهِ كالسريان فكانوا لذلك يمكنهم الاستغناء بمجهول سَفْعل عن مطاوعهِ استفْعل واستخدام ما جاء من هذا غالباً للدلالة على معانٍ أُخر تتهيَّأ في تصوراتهم فاصبح لذلك كالمستقلّ بنفسهِ وتنوسيت مع الايام علاقتهُ بوزن سَفْعل

واليك جدول يجمع صور المجرَّد والمزيدات في كل من اللغات الثلاث وقد وضعهُ الاستاذ ضوط يُرجع اليهِ عند الاقتضاء:

العربيــة		السريانيــة		العيرانية	
فعل	مطاوع	فعل	مطاوع	فعل	مطاوع
فَعَلَ	إنفَعَلَ او افتَعَلَ	فَعَلَ	إتفعَلَ	فَعَلَ	نفعَالَ
افعلَ او افعالَ		أفعَلَ	اتأفعَلَ	فَعَّلَ	هتفعَّلَ
أفعَلَ	إفتَعَلَ	فعَّلَ	إتفعَّلَ	فُعَّلَ	
فَعَّلَ	تَفَعَّلَ	فاعَلَ	انفاعَلَ	هفعيلَ	
فَاعَلَ	تَفَاعَلَ	سَفعَلَ	إستَفعَلَ	هُفعَّلَ	
سَفعَلَ (مات)	إستَفعَلَ	شفعَلَ	إشتَفعَلَ		
إفعَوعَلَ		فعلعَلَ	إتفعلعَلَ		
إفعَوَّلَ					
إفعَنلَى					

هذا ما كتبهُ العلّامة ضومط منذ نيّف وثلاثين سنة ذكرتــهُ مع الايجاز الكلّي تلميحاً الى انهُ قد كتب غير العلّامة زيدان في الموضوع. واني يعلم الله لشاعر مع الاب الكرملي المحترم بعسر الخوض في هذه المسائل النظرية التي لا يؤمن معها زلّة قدم واسالهُ ان يقرأ كتاب « الخواطر في اللغة » فانهُ يجد فيــهِ ما يسرّهُ من البحث في تصاريف الافعال والاسماء وما يعرض عليها من الاحوال وذكر اسباب ذلــك والتعليل عن اصل احرف الزيادة في المزيدات وعلامة التانيث والتثنية والجمع وياء التصغير والنسبة في الاسماء الى آخر ما هنالك مما يرتاح اليهِ امثالــهُ من الباحثين المفكرين. هذا واني ارجو ان لا يحمل انتقادي هذا على محمل انا براء منهُ ولعلّي اعود الى البحث المطوّل في هــذا الموضوع ان شاء الله

كتابات قبرس الفينيقيّة

للاب سيبستيان رتزفال اليسوعي مدرّس العاديّات في مكتبنا الشرقي

افادتنا المجلّة الاثريّة في عددها الصــادر في شهري ايّار وحزيران من السنة المنصرمة (R. A., Mai-Juin, 1908) انّ اهل قبرس اكتشفوا في بلدة باقوس قطعة